وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
[illegible]
[illegible]
[illegible]
UNIVERSITÉ MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTÉ DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes
.

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:.....

الرقم التسلسل:.....

مذكّرة تَخَرُّج لِنَيْلِ شَهَادة المَاستر

الميدان: لغة وأدب عربي.
الفرع: لغة وأدب عربي.
التخصّص: تحليل الخطاب.

العنوان

الوجه الخطابي في الأربعين نووية

. إعداد الطالبة:
زينة بويحي

. إشراف الأستاذ الدكتور
العباس عبدوش

لجنة المناقشة:

د. فتيحة بوسنة	أستاذة محاضرة صنف "ب"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيسا
د.عباس عبدوش	أستاذ محاضر صنف "ب"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	مشرفا ومقررًا
أ. ليندة عمي	أستاذة مساعدة صنف "أ"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	ممتحنا

السنة الجامعية: 2015-2016

كلمة شكر

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف "عباس عبدوش" الذي أشرف على إنجاز هذا العمل وله كل الامتنان والتقدير

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد

يعد الحديث النبوي من أهم الخطابات الدينية بعد القرآن الكريم، إذ تواكبت عليه دراسات عدة من شتى العلوم، منها: علم الفقه والتفسير والشرح والنحو، وحتى العلوم التجريبية الدقيقة راحت تبحث في إعجازه.

أما البلاغة فكانت السباقة بين تلك العلوم، في دراسة الحديث النبوي، باحثة في جماله لحسن إيجازه ومجازه وروعة بديعه وبيانه، وسهولة حفظه وإبلاغه، والمصنفات في ذلك كثيرة، منها: السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية لمصطفى صادق الرفاعي، أضواء على البلاغة النبوية لإبراهيم الحجاجي، الإيجاز والاستعارة في البيان النبوي لعبد الرحمن بودرع بلاغة الرسول لعلى المعماري، التصوير الضمني في الحديث الشريف لمحمد لطيفي.

ارتأينا نحن أيضًا دراسة الخطاب الديني من وجهة بلاغية، لكن ليس من منظور البلاغة القديمة، بل من منظور بلاغة هذا العصر، التي تهتم بالنص والسياق الذي قيل فيه، وأثره على المتلقي، بل تهتم أكثر بكل الإمكانيات التي من شأنها أن تساهم في عملية الإقناع، ففي هذه البلاغة ما عاد ينظر إلى النص بمعزل عن المحيط الذي قيل فيه، ولدراسة هذه الجوانب وقع اختيارنا على مجموعة الأربعين النووية لتكون مدونة بحثنا، وهذا لما يميزها من عامل التداول بين الناس.

وسنحاول من خلال بحثنا الإجابة على الإشكالية التالية:

- **كيف يتمظهر الوجه الخطابي في الأربعين النووية؟.**

- **وما هي الآليات الإقناعية الأكثر تواجدًا في الأحاديث؟.**

لتحليل عناصر بحثنا، ارتأينا اعتماد المنهج التداولي، في تحديدنا لعناصر الخطاب.

وقد ارتأينا تقسيم البحث إلى فصلين، مسبوقين بمدخل بعنوان " **البلاغة القديمة والجديدة**" وتضمن عنصرين أساسيين الأوّل: نشأة البلاغة القديمة وتطورها، والثاني: نشأة البلاغة الجديدة ونظرية الحجاج عند **برلمان** ، و**ديكرو** و**انكسمبر**.

في حين عنونا الفصل الأول ب "**سياقات الأحاديث في الأربعين النووية**"، وقسمناه إلى أربعة عناصر أساسية: المخاطِب، المتلقي، مراعاة مقتضى الحال، البعد الحجاجي والإقناعي بمراعاة مقتضى الحال.

أمّا الفصل الثاني فعنوناه "**آليات الحجاج المنطقية واللّغوية**" ، وتضمن: الحجج المؤسسة على بنية الواقع، الحجج المؤسسة لبنية الواقع، عاملية الحجاج "إنَّما"، السلالم الحجاجية "قانون القلب والنفي".

وقد استفدنا في بحثنا مما قدمه بيرلمان من دراسة جديدة في تحليل الخطاب، كما اعتمدنا على قائمة من المصادر والمراجع التي أنارت درب هذا البحث إلى أفق المساءلة والنقاش من أبرزها:

- فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.
- فيليب بروتون وجيل يوتيه: تاريخ نظريات الحجاج.
- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها.

وأنهينا البحث بخاتمة حوصلنا فيها أبرز نتائج هذا البحث، ومن الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجازنا لهذا البحث: قلة المراجع التطبيقية في تحليل الخطاب الديني.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بالشّكر للأستاذ المشرف " عباس عبدوش" على كل الجهود التي بذلها من أجل إثراء هذا البحث وإنجاحه.

مدخل

البلاغة القديمة والجديدة

1. نشأة البلاغة القديمة وتطورها
2. مفهوم البلاغة القديمة
3. نشأة البلاغة الجديدة ونظرية الحجاج
   أ) تعريف البلاغة الجديدة
   ب) الحجاج عند برلمان
   ت) الحجاج عند ديكرو وانكسمبر

تمهيد:

تعد البلاغة من بين العلوم التي اهتمت بالخطاب، وتنقسم البلاغة إلى فرعين: علم البديع الذي يهتم بالخطاب على مستوى الألفاظ (سجع، جناس، طباق ...)، وعلم البيان الذي يهتم به على مستوى التراكيب (تشبيه، استعارة، كناية...). وقد عرفت البلاغة منذ القديم، وسنحاول من خلال المدخل تتبع مسار البلاغة القديمة وتطورها وصولا إلى البلاغة الجديدة.

1. نشأة البلاغة القديمة وتطورها:

مرت البلاغة العربية كغيرها من العلوم بعدة مراحل، أهمها:

-**مرحلة النشأة والتطور : أو مرحلة الميلاد** «فقد بدأت في شكل ملاحظات بسيطة كان ينثرها العرب في الجاهلية وأخذت هذه الملاحظات تكثر مع رقي الحياة العقلية العربية بعد الإسلام» [1]. إذ لم تكن تلك الملاحظات قائمة على أساس علم يحتكم إليه، بل كانت قائمة عل ى انطباعات وأذواق مختلفة لبلغاء كبار، يميزون بين جيدِّ الكلام ورديئه، كيف لا وقد «بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة بصفة عامة والبيان بصفة خاصة، وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه من مثل ﴿الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ القُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن 1-2]، ﴿وَإِنْ يَقُولُو تَسْمَعُ لِقَوْلِهِم﴾ [المنافقون]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلَهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة 204] كما صور شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل، مثل: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب 19]، ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جِدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون﴾ [الزخرف 58]»[2]، نفهم من هذا أن البلاغة كانت فطرية المنشأ بل ملكة وهبها الله لأولئك القوم بأسلوب رفيع جدًا وراقٍ إلى أن تحداهم في ذلك عز جلاله ببلاغة وسحر بيان قرآنه، على الإتيان ولو بمثل آية من آيات كتابه.

[1]- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، ط9، القاهرة، ص5.

[2]- المرجع نفسه، ص 9.

عليه انصرف اهتمام البلاغيين واللّغويين إلى النظر في بلاغة القرآن وإعجازه، بعد أن كانوا ينظرون إلى بلاغة بعضهم البعض، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ في قوله: «وأصبح البحث في إعجاز القرآن بلاغيا منحى قائم الذات يفتتح بديباجة تذكر بالأوجه الإعجازية الأخرى، المقبول منها والمرفوض، كما نجد علماء القرن الرابع الروماني ت 386هـ، والخطابي ت388، والبقلاني ت403، أو يفرد الحديث العام في الإعجاز بعمل مستقل كما فعل الجرجاني في القرن الخامس»[1]، فعلى يد هؤلاء قامت البلاغة علمًا ذو أسس وقواعد.

فقد استطاع **عبد القاهر الجرجاني** وضع علمي المعاني والبيان وضعًا دقيقًا، حيث استكشف لأول مرة هذا العلم، وصاغه صياغة تنبض بالحياة، لذلك عرفت البلاغة في عصره ازدهارًا وهي المرحلة الثانية من تاريخ تطورها[2].

أما المرحلة الثالثة فمرحلة التقعيد والجمود، وهي من أصعب المراحل التي مرت بها البلاغة العربية، وذلك راجع لعدة أسباب، يسردها لنا **شوقي ضيف** في كتابه " **البلاغة تاريخ وتطور** " قائلًا: «وندخل في عصور الملخصات والشروح والتقعيد، ويضع **الفخررازي** أول ملخص لمباحث **عبد القاهر الجرجاني** جامعًا بعض فنون البديع، ومضيفًا على ملخصه من الفلسفة والمنطق والكلام ما عقده به تعقيدًا، ... وتوالت الشروح تفلك معميات هذا التلخيص...، تنحرف عن هذا الاتجاه، ولكنها لا تكاد تضيف جديدًا»[3]، لأن البلاغة العربية وصلت إلى مرحلة الجمود ليس من باب عدم التجديد بل بسبب الشروح والإضافات التي كانت في كل مرة تسرق نبض حياتها، لأن تلك الشروح كانت «مليئة بالأعشاب الضارة من الفلسفة والمنطق والكلام والأصول والنحو، ... حتى تختنق البلاغة اختناقًا، ويتكاثر التصنيف في البديع، وتلخص فنونه التي بلغت نحو مائة وخمسين أو تزيد، في قصائد سموها البديعيات» [4]، وهذا إنَّما دليل على مدى اختزال البلاغة في

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، د ط، المغرب، 1999، ص 161.

[2]–ينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص5.

[3]– المرجع نفسه، ص6.

[4]– المرجع نفسه، ص6.

الجانب الفني للأسلوب، وفي هذا الوضع من جمود البلاغة العربية التي مرت به اشتركت معها فيه البلاغة الغربية.

استقر وضع البلاغة على ذلك الحال في الأوساط العربية والغربية إلى غاية «النصف الثاني من القرن العشرين، حيث ظهرت في الغرب أصوات تنبه إلى خطورة اختزال إمبراطورية البلاغة في المستوى الأسلوبي أو المحسنات، ونجد **جيرار جنيت G.Genette** ألف مقالا أسماه "البلاغة المختزلة **l'erhétorique ves treinte**"، حظي بمكانة خاصة في التنظير البلاغي الحديث محاولًا فيه إبراز الانزياح الذي حدث في تاريخ البلاغة، عندما تم النظر إليها من خلال جزء من أجزائها هو الأسلوب»[1]، وتم تهميش باقي أجزائها الواسعة المجال.

2. مفهوم البلاغة القديمة:

البلاغة في اللّغة: «الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده، إذ وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذ انتهى إليها، ومبلغ الشيء ومنتهاه، وتقع في الاصطلاح وصفًا للكلام وللمتكلم فقط دون الكلمة لعدم السماع»[2]، وهذا ما تتميز به عن الفصاحة المرتبطة بالكلمة.

ويعرّف **أبو هلال العسكري** البلاغة بأنَّها مبلغ الشيء ومنتهاه، فيقول:« والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، وسُميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسُميت البلاغة بلاغة لأنك تتبلَّغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضا، والبلاغة كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه من نفسك كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة وعرض حسن» [3]، فالبلاغة مرتبطة حسب **العسكري** بالإقناع وحسن العرض، لكن مع هذا ففكرة المتلقي والتوجه إليه لم تكن

---

[1]- الطاهر ناعوس بن يحي: البلاغة وتحليل الخطاب دراسة في تغيير النسق المعرفي مقالات متعلقة، تاريخ الإضافة: 17-12-2011م، www .alika.net، نقلا عن: سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص 20.

[2]- احمد الهاشمي: جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج1، ط1، بيروت، لبنان 1429هـ- 2008م، ص27.

[3]- إنعام نوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان 1996م، ص 268.

نظرية قائمة بذاتها، بل كانت الأفكار المعبّرة عنه، متضمنة داخل أمهات الكتب البلاغية، بعكس ما كانت عليه البلاغة الغربية في بدايتها الأولى مع أرسطو طاليس، إذ ارتبطت ارتباطا وثيقا بالإقناع ،وكان الأسلوب والعرض آخر ما يهتم به، إلى أن أتت مرحلة الجمود لهذه البلاغة باختزالها في الأسلوب كما سبق وأن ذكرنا ذلك ،ممّا دعا إلى إحيائها وإحياء أهم أجزائها منها الحجاج. وعليه تدل البلاغة في التقليد الغربي على معنيين:

- المعنى الحجاجي الذي يصب في التداوليات الحديثة.
- المعنى التعبيري الشعري الذي يصب في الأسلوبيات.

وهما المعنيان اللذان عبرت عنهما أعمال بلاغيين غربيين معاصرين حاوروا "البلاغة القديمة" في مسعى لبلورة "بلاغة جديدة" ، تجمع بين الجانب الأسلوبي و الحجاجي وبذالك تعود البلاغة لإمبراطوريتها الواسعة [1]، إنَّ هذه المحاورات بدعوة التغيير والتجديد لم تبق حبيسة الأصوات الغربية فقط، بل شملت أيضا الأصوات العربية من كبار البلاغيين أمثال: **العمري، محمد مشبال، أمين الخولي، حمّاد صمود** ... الخ. فيا ترى ما هي هذه البلاغة التي نادوا بها؟ وما هي أهم المسائل التي تعالجها؟

3. البلاغة الجديدة ونظرية الحجاج:

أ) مفهوم البلاغة الجديدة:

أفرزت الأبحاث المنجزة حول البلاغة الجديدة عدة تعريفات منها: «أنَّها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج ،كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ الخطاب ثم يتطور، كما تتفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور» [2]. أي أنّ البلاغة الجديدة تتوجه بالدرجة الأولى إلى المتلقي، بل إنه من اهتماماتها، لذلك تسعى إلى معرفة التقنيات الحجاجية التي من شأنها أن

[1]- ينظر: مصطفى الغرافي: عن البلاغة "دراسة في تحولات المفهوم"، مجلة: ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 28 افريل 2014، WWW .diwanalarab.com

[2]- صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، الإصدار 1، 2008، ص 15.

تثيره وتكسب عقله، لكن هذا لا يعني إهمال باقي مكونات الخطاب من مرسل، رسالة ومقام، لهذا دعا **بيرلمان** بالعودة إلى المعنى الشامل للبلاغة، الذي يضمّ أبعادًا حجاجية جدلية فلسفية ومنطقية، وذلك في محاولة منه «لإحياء البلاغة الميتة التي فقدت على مدى قرون أجزاء من إمبراطوريتها الواسعة» [1]، معتقدًا هذا التجديد الذي بإمكانه أن يعيد للبلاغة أجزاءها الواسعة و ديناميتها المتجدّدة مع تطور ملحوظ في عدّة مستويات بلاغية، تلخصها "**سامية الدريدي**" في ثلاث نقاط مهمة، فتقول: «يجوز لنا الحديث عن نقاط ثلاث تؤكد ما شهدته الأبحاث البلاغية من تطور وتجديد، تتعلق الأولى بالهدف، فما عاد هدف الخطابة الجديدة تأسيس الخطاب بل تأويله، ولا نعني بذلك أنَّ هذه الأبحاث لا تعلّم المُطَّلِعَ كيفية إعداد خطاب وطرائق تشكيله» [2]. أي أنّ البلاغة الجديدة جاءت لتقدم للمُطَلِع بدائل أخرى في كيفية التعامل مع النص أو الخطاب بشكل عام.

وتتعلق النقطة الثانية ب«حقل الخطابة الذي اتسع فعلا، فما عاد يقتصر على الأجناس الخطابية الثلاثة التي حددها **أرسطو: المشاجري** و**المشاوري** و**الأثيني**، بل أصبح يشمل ميادين جديدة تتعلق في نهاية الأمر بكل أنواع الخطاب الإقناعي، بدءً بالإشهار مرورا بالشعر وصولًا إلى الوثائق الرسمية كالمعاهدات والاتفاقات السياسية ...، فأصبح من الجائز بل من الشائع الحديث عن الحجاج في لوحة إشهارية أو معلقة تنبيه... أو شريط سينمائي أو قطعة شعرية ملحنة، بل عن حجاج لا واعٍ» [3]، إن زيادة أشكال التواصل بفعل العوامل التكنولوجية والتي تندرج كلها تحت مفهوم الخطاب فتحت المجال أمام محللي الخطاب، للتوسع بالتحليل البلاغي بعد أن كان حبيس ثلاث خطابات يونانية حددها الفيلسوف "**أرسطو طاليس**"، أمّا في الثقافة العربية فنجد: الشعر، والخطابة، والقرآن.

---

[1]– بن يحي الطاهر ناعوس: البلاغة وتحليل الخطاب دراسة في تغيير النسق المعرفي، عن l'empire rhétorique ch.perlman, librairie philosophique 1977 ; P13 .

[2]– سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، اربد عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 2، 2011 ص 20.

[3]– المرجع نفسه، ص20.

تتعلق النقطة الثالثة ب «طبيعة هذه الخطابة الجديدة، فهي منفجرة مجزأة في دراسات مختلفة»[1]، ويتمثل هذا في الدراسات ،والنظريات ،والمشاريع الغربية ، والعربية التي قدّمها كلّ من: **بيرلمان**، و **ديكرو** و **ميشال ماييير** ...، فكلّ هؤلاء تندرج أعمالهم بالرغم من أنها مجزأة ومختلفة تحت تيار واحد، وهو الحجاج ضمن البلاغة الجديدة، فيا ترى فيما تتمثل أهم هذه النظريات الحجاجية؟

ب) الحجاج عند شاييم بيرلمان:

يعرّف **بيرلمان** الحجاج بأنه «مجموعة من التقنيات الخطابية، التي تسمح بإثارة أو زيادة موافقة الأذهان مع الأطروحات التي تعرض عليها بهدف تقبّلها» [2]، إذ تختلف هذه التقنيات من خطاب إلى آخر، كما أنَّ وقعَها على المتلقي أيضا يضم اختلافا، وذلك بحسب درجة المخاطب الذي يتلقى هذه التقنيات على شكل حجج تأثر فيه.

يرى **بيرلمان** أنَّ الحجة هي «صورة خطابية figure discours، يمكن تمييز شكلها بواسطة بنية خاصة ...، إنَّ صورة ما تكون حجاجية إذا كان استخدامها الذي يحدث تغييرا في المنظور يظهر عاديا بالنسبة للوضع الجديد المقترح، وعلى العكس إذ لم تؤد الصورة إلى موافقة المتلقي، فإنَّها تكون حينئذ تجميلًا، أي صورة أسلوبية فقط» [3]، ويميّز لنا **بيرلمان** في تعريفه للحجة بين صورتين: صورة تستخدم في المجال التحسيني للخطاب، وصورة أخرى تكون ضمن بلاغة «ينظر إليها كفنّ للإقناع والإفحام» [4]، فالموقف الخطابي هو الذي يحدد لنا نوع الصورة التي نتلقاها.

---

[1]– سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 21.

[2]– فيليب بروتون وجيل يوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ط 1، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، قسم اللّغات الأوربية وآدابها –كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي– جامعة الملك عبد العزيز 1432هـ، 2011م، ص 45.

[3]– المرجع نفسه، ص 46.

[4]– المرجع نفسه، ص 46.

- الفرق بين الاستدلال والحجاج:

حاول **بيرلمان** أن يرفع عن نظرية الحجاج كل الملابَسات التي قد تقلّل من وضوحها لدى الباحثين، فعمل على إبراز عدة اختلافات بين قضايا هامة تمسّ البلاغة بشكل عام، منها: الفرق بين الاستدلال المنطقي والحجاج، «إنَّ الاستدلال هو أن تستنبط من المقدمات نتائج تفضي إليها تلك المقدمات ضرورة بدون أي لُبس» [1]، هذا ما ذهب إليه **ديكارت** «وهو مجال بحث المَنَاطقة الذين يسعون إلى شكلنة الأنظمة بصرف النظر عن محتوياتها، ليس الحجاج من هذا القبيل فالحقيقة فيه ليست مضمونة، ولا هي واحدة، أو ضرورية، أو مفارقة ومتعالية شأنها في الاستدلال، إنَّما الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية لا إلى غير حد، وهي مرتبطة بالمقام وتكون إلا تحت أنظار جمهور، سواء كان جمهورا كونيا أم خاصًا particulier, Auditoire universel أم متكونا من شخص واحد يحاوره الخطيب أو متكونا من شخص الخطيب وحده، فهو الخصم والحكم يحاجج نفسه»[2]، إنَّ هذا التوضيح من بيرلمان في الفرق بين الاستدلال المنطقي يساعدنا على فهم ومعرفة المساحة التي يتواجد بها الحجاج، فإذا كانت مهمة الاستدلال شكلنة الأنظمة دون الاهتمام بمحتوياتها، فالحجاج على عكس ذلك يهتم بالمحتوى بل ينطلق منه، وهذا يعني أنه ينطلق من العقل من أجل ممارسة التأثير في أفعال الآخرين.

- تقنيات الحجاج عند بيرلمان:

تنجح عملية التأثير في أفعال الآخرين بواسطة خطاب إذا كانت تقنياته الحجاجية متعددة ومتنوعة تحتكم إلى الدقة وحسن التموضع، ولأن «البلاغة الجديدة تتمحور أساسا حول تقنيات الحجاج، وهذه التقنيات يتم بسطها على محورين كبيرين، من جهة محور الخطاب ذاته، خاصة بنيات الحجاج الموضوعة موضع التنفيذ، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقي ...، ففي الحالة الأولى تجري دراسة الحجج وتصنيفها، وفي الحالة الثانية دراسة الموقف

[1] - فريق البحث في البلاغة والحجاج : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس، كلية الآداب منوبة، إشراف: حمادي حمود، ص 300.

[2] - فريق البحث في البلاغة والحجاج : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس، كلية الآداب منوبة، إشراف: حمادي حمود، ص 300.

التواصلي الذي يمثل حدث الحجاج «Acte d'argumenter»[1]، وهذا ما يميز البلاغة الجديدة في عدم عزل النص عن السياق عكس البلاغة القديمة.

يمكن تصنيف التقنيات الحجاجية للموقف التواصلي للحجاج حسب بـ**يرلمان**، كالتالي:

الربط			الفصل
الحجج شبه منطقية	الحجج القائمة على بنية الواقع	الحجج المؤسسة لبنية الواقع	فصل المصطلحات
الهوية التنافر التعريف قواعد العدل التعددية المقارنة	روابط التتابع روابط التعايش	المثال النموذج المماثلة التوضيح الكفاية	الفصل

جدول (1)[2]

يوضح هذا الجدول تصنيف بيرلمان للتقنيات الحجاجية وهي أربع:الحجج شبه منطقية وتقوم على نوع من الاستدلال الرياضي، أمّا الحجج القائمة على بنية الواقع المؤسسة له فتنتميان إلى عنصر الربط والذي من خلاله تؤسَس علاقة الأشياء بعضها البعض «سواءً كان الربط موجود سلفًا في الواقع أو تمّ خلقه من كل المكونات من أجل مناسبة اللحظة[3]»، أي أنّ تقنية الربط تعمل على الاتساق والانسجام لما هو موجود في الواقع ،من خلال ربط منطقي صحيح، أمّا الرابعة

[1]– فيليب بروتون، جيل دوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص 46.

[2]– المرجع نفسه، ص47.

[3] - المرجع نفسه،ص44

فتتمثل في تقنية الفصل ،وتعمل عكس عمل تقنية الربط. اعتمدنا أيضا على آليات الحجاج اللغوية عند ديكرو، فماذا نقصد بالحجاج اللّغوي؟

ت) الحجاج عند ديكرو وانكسومبر:

تركز نظرية الحجاج في اللّغة على «وصف الشواهد اللغوية أو النصية في ضوء رؤية لغوية حجاجية تركيبًا ،ودلالة ،وتداولا» [1]، تسمح لها بالكشف عن الجانب الحجاجي للغة، «وهي نظرية تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية والكلاسيكية، التي تعدّ الحجاج منتميًا إلى البلاغة الكلاسيكية (**أرسطو**)، أو البلاغة الحديثة (**بيرلمان، اولبريخت نيتكا ، ميشال مايير ...**) أو منتميًا إلى المنطق الطبيعي (**جان بليز ...**)»[2]، أي أن هذه النظرية لم تتأسس على أنقاض النظريات الكلاسيكية للحجاج، بل أحدثت اتجاهًا آخر، ومنحى آخر للبلاغة الجديدة، حيث اهتمت بالطاقة الحجاجية للغة في ذاتها.

أقام أسس هذه النظرية اللغوي الفرنسي **أوزفالد ديكرو** منذ سنة 1973م، «إذ قام بتطوير أفكار وأراء **أوستين** بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين، هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج» [3]، وبهذا يكون **ديكرو** بإضافته الفعلين قد أثرى المنهج التداولي الذي يشغل حيزًا كبيرًا من الدراسات اللسانية.

- مفهوم الحجاج عند ديكرو:

يختلف مفهوم الحجاج عند **ديكرو** عن مفهومه لدى **بيرلمان**، «فهو يمثل إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها»[4]. أي أن عملية تقسيم أي خطاب إلى حجج و نتائج تكون ضمنية، حيث يقوم المتلقي

---

[1]- جميل حمداوي: نظريات الحجاج، شبكة الألوكا، www.olukah.net ، ص41.

[2]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، منتديات سور الازبكية، الطابع العمدة في الطبع، ط 1، 1426هـ- 2006م ص 12.

[3]- المرجع نفسه، ص 16.

[4]- المرجع نفسه، ص 17.

بتأويل تلك الحجج للوصول إلى النتائج.التي يكون المخاطب قد سطر لها «بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أن نتكلم عامة بقصد التأثير» [1]، ويختلف نوع التأثير من خطاب إلى آخر، ومن جمهور إلى آخر.

بحث **ديكرو** في بنية الأقوال التي تمثل حججا، وبنية الأقوال التي تمثل خطابا، فوجد فرقًا شاسعًا «فالأقوال التي يتكون منها الاستدلال مستقلة بعضها عن بعض، بحيث أن كل قول منها يعبر عن نفسية ما ...، ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسًا على الأقوال نفسها ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، ... أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها وانشغالها داخل الخطاب»[2]، بمعنى آخر فإنّ الاستدلال يقوم على الشكل الخارجي للقضية، أمّا الحجاج يهتم بالشكل الداخلي للقضية، وبالتحديد في بنيتها اللغوية وما تتقدمه من طاقة حجاجية.

حدّد **ديكرو** بعض ما يُبحَث فيه داخل بنية اللغة، لكشف الطاقة الحجاجية لها، منها: «الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والمبادئ ،والعلاقات الحجاجية، واسم الحجاجي والأدلة الممكنة والمحتملة، والإبطال والدليل الأقوى ... والاستعارة الحجاجية» [3]، فبهذه الآليات يمكننا الكشف عن الطاقة الحجاجية.

[1]– أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 15.

[2]– المرجع نفسه، ص 18.

[3]– جميل حمداوي: نظريات الحجاج، ص 41.

الفصل الأول

سياقات الأحاديث في الأربعين النووية

I. السياق الخطابي في الأربعين النووية

1. المتكلم أو المخاطِب
2. المتلقي أو المخاطَب
3. أنواع المخاطبين حسب التصنيف البلاغي
4. مراعاة مقتضى الحال
5. البعد الحجاجي والإقناعي لمراعاة مقتضى الحال

1. السياق الخطابي:

وردت في البلاغة العربية والغربية عدة مفاهيم للسياق، نأخذ منها ما قاله **عبد الفتاح البركاوي** في مناقشته لمفاهيم السياق: «مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي، ويرادفه في التراث العربي كل من المقام والحال والموقف، وإنَّ مفهوم السياق يتسع أيضا ليشمل ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة "سياق النص Verbal context"، والسياق الموقف أو المقام الخارجي وهو ما يعرف Contexte of sitiation ، أي أن هذا السياق كما فهمه العرب يشمل عناصر دلالية تستفاد من المقال ومن المقام جميعا، ويمكن تقسيمه تبعا لذلك إلى:

- السياق اللّغوي، وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص.
- السياق الخارجي، وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص»[1].

نفهم مما قاله **عبد الفتاح البركاوي** أنه يوجد اختلاف بين الدراسات القديمة والحديثة، في مفهوم السياق من ناحية المصطلح فقط، لكن تقسيم السياق إلى سياق داخلي وخارجي متفق عليه، وعناصر السياق الخطابي تتحدد وفق عناصر العملية الخطابية.

2. المتكلم أو المخاطِب في الأربعين النووية:

المتكلم أو المخاطب في أحاديث الأربعين النووية هو محمد بن عبد الله، ولد صلى الله عليه وسلم بشِعب بني هاشم بمكة، صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول من عام الفيل، ولأربعين سنة خلت من مُلْكِ كسرى أبو سروان، ويوافق العشرين أو الثاني والعشرين من شهر أفريل سنة 571م[2]، قضى الرسول صلى الله عليه وسلم حياته في دعوة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، بلسان عربي بليغ، ومعجزته في ذلك القرآن الحكيم بآيات محكمات، عجز أقحاف العرب على أن يأتوا بمثلها، ورغم وفاته صلى الله عليه وسلم وقصر المدة التي دعا فيها قومه

---

[1]- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دط، ص 30.

[2]- ينظر: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، جامعة مصر العربية، سنة 1431هـ- 2010م، ص21.

وسائر الأقوام إلى التوحيد إلا أن العمل بمقتضى الدين الإسلامي مازال إلى يومنا هذا، ومنه لا يمكننا ربط الخطاب الديني بالزمن والمكان الذي ألقي فيه وهذا من بين ما سنتعرض إليه أثناء التحليل.

-**الأحاديث الواردة في الأربعين النووية:** مصنفة وفق المخاطب في الجدول التالي:

عدد الأحاديث	نوع الحديث	المخاطِب (المتكلم)
28	حديث نبوي	الرسول صلى الله عليه وسلم
9	حديث نبوي	م1 جبريل عليه السلام /م2 الرسول –حوار م3 رجل قال للرسول أوصني م4 عن أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله م5 رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال... م6 عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أيضا، قال: أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي : يا رسول الله .... م7 عن أبي بجيج العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه، قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وحلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقال: يا رسول الله ... م8 معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، قال: قلت يا رسول الله... م9 جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يا رسول الله ...
4	حديث قدسي	الرسول صلى الله عليه وسلم يروي عن الله عز وجل، المخاطِب الله عز وجل.
1	حديث نبوي	المخاطب هو الرسول صلى الله عليه وسلم مع خطاب قرآني –آية قرآنية–.

جدول 2

نلاحظ من خلال الجدول أن الأحاديث وردت بأربعة أشكال مختلفة:

- **الشكل الأول :** ففي أربعة وعشرين حديث المخاطِب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومثال ذلك: **عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بني الإسلام على خمس ...»** رواه البخاري ومسلم[1]، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المخاطِب الأصل في المتن، وهو الذي ساهم بشكل أكبر في إنشاء الخطاب.

- **الشكل الثاني:** المخاطب الفعلي في الأحاديث القدسية هو الله سبحانه وتعالى، أما راوي الحديث عن الهل تعالى هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يميز الخطاب القدسي عن الحديث النبوي، إذ يحتوي على عمليتين تخاطبيتين، الأولى من الله عز وجل إلى الرسول والثانية من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس مع الحفاظ على متن الخطاب.

وإذا تساءلنا عن البعد الحجاجي الذي تقدمه الأحاديث القدسية، فإنه يبقى دائما نفسه دون تغيير، إذ أنَّها تعمل على إقناع المخاطبين بشكل أوسع، كما في حديث عن مغفرة الله عز وجل، **عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»** رواه الترميذي وقال حديث حسن صحيح[2]، فمن يستمع إلى هذا الحديث أو يقرأه يتفطن إلى أن الخطاب خطاب رباني موجه إلى الجميع، بدلالة لفظ "يا ابن آدم" المكررة ثلاث مرات من بداية الحديث إلى نهايته، وهذا ما يزيد من درجة اقتناع المتلقي، خاصة وأن الحديث يبين مدى سعة مغفرة الله ورحمته بعباده أجمعين، وليس

[1]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار الإمام مالك للكتاب، ط 1 1426هـ- 2006م، ص 7.

[2]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 52.

هناك أفضل ما يعبر عنها، من قوله: "يا ابن آدم إنَّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا أتيتك بقرابها مغفرة".

– **الشكل الثالث :** نلاحظ أن المخاطب الأول في هذا الحديث هو الرسول صلى الله عليه وسلم، أما المخاطب الثاني فهو الله سبحانه وتعالى في الآيتين الكريمتين، **عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلَّا طيبًا، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يا أيُّها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا﴾ (المؤمنون 5)، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾...»** رواه مسلم[1]، وهذا ضرب من الاستدلال حتى يقتنع المتلقي حيث استدل الرسول صلى الله عليه وسلم بالآيتين الكريمتين ليؤكد قوله بأنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فكان الخطاب الأول موجهًا إلى المرْسَل، والخطاب الثاني موجه إلى المؤمنين ، بالتالي يكون هناك عملية جمع لأنواع المتلقين سواء كانوا مسلمين أم لا.

–**الشكل الرابع:** جاءت تسعة أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على شكل حوار عادة ما يبدأ بسؤال من أي سائل، أما المسؤول فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي هذا النوع من الأحاديث كثيرًا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيل غموضًا ما عند السائلين في سؤالهم له، أو كان صلى الله عليه وسلم يوجههم ويرشدهم، وهذا لا يتأتى أحيانا إلَّا بعملية السؤال أو الحوار حيث إن السائل يتحول إلى مخاطَب (متلقي) والمسؤول إلى مخاطِب (متكلم)، لأنه هو من يحمله معه قصد الخطاب، لأنه إن صح تعبير المخاطِب الأصلي أو المقصود الذي يحمله معه قصد الخطاب.

مثل: **عن أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: قل آمنت بالله ثم استقم»** رواه مسلم[2]، وهذا يدفعنا للتساؤل: هل قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"قل آمنت بالله ثم استقم" هكذا دون أي دافع أو

[1]– أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 15.

[2]– المصدر نفسه، ص 27.

محرك؟، وهل اقتناع السائل بجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم له كان بعد الجواب أو قبله؟، نجيب: لولا سؤال أبو عمرة سفيان لرسول الله لما أجابه بهذه العبارة الواضحة والتي تبين لب الإسلام، فهنا تكمن عملية التوجيه، أما السائل فقد كان مقتنعًا بما سيقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سماع الإجابة، وما يوضح ذلك قوله: "لا أسأل أحدا غيرك".

ونتساءل أيضا: هل يمكننا في هذا الموضع تطبيق قول **بيرلمان:** "إن معرفة أولئك الذين تنوي إقناعهم شرط أساسي مسبق لأيِّ حجاج فعَّال" [1]، أم يمكننا القول كذلك أن المعرفة الجيدة بالمتكلم وأخلاقه من قبل المخاطَب تسهم بشكل كبير في عملية الاقتناع، فكثيرا ما كانت أخلاق المخاطِب هي التي تجذب الجمهور إليه، لهذا السبب جعل **أرسطو طاليس** المخاطب وأخلاقه من أهم أركان الخِطابة، وهو ما يعرف بالأيتوس، فنحن نسرع إلى الخطيب الذي له من الأخلاق ما يشعرنا بالاطمئنان لكلامه، وندبر عن الذي عرف بسوء الأخلاق. فهناك من قال: «إن الطيبة الشخصية التي يكشف عنها المتكلم لا تسهم بشيء من قدرته على الإقناع، بل بالعكس ينبغي أن يعد خلقه أقوى عناصر الإقناع لديه، ثم أن الاقتناع يمكن أن يتم بواسطة السامعين، وإذا كانت الخطبة مثيرة لمشاعرهم»[2]. يؤكد هذا القول أن أخلاق المخاطب لا تسهم فقط في إقبال الناس عليه بل الاقتناع بما يقوله، ويدعو إليه، وهذا ما تبينه أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم، التي كانت من بين الأسباب المهمة التي جعلت الكثير من الناس يعتنقون الإسلام إلى يومنا هذا.

3. المتلقي أو المخاطَب:

يقصد بالمخاطَب كل من يتوجه إليه بكلام، «والكلام أصل في كل تواصل كائِنًا ما كان ... وإنَّما حقيقته في كونه ينبني على قصدين اثنين، أحدهما يتعلق بالتوجه إلى الغير والثاني يتصل بإفهام هذا الغير» [3]، أي أنه لا يمكننا تصور خطاب دون مخاطَب، لهذا حُدِدَ الحجاج «أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة

[1]– فيليب بروتون، جيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص 45.

[2]– أرسطو طاليس: كتاب الخطابة، تر: عبد الرحمن ب.دوي، دار العلم بيروت، دط، 1979، ص 29.

[3]– طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص213–214.

التي تحملها» [1] ، ففي مثل هذه الخطابات تزيد نسبة الاشتراك فيها والتفاعل معها، مقارنة بالخطابات الأحادية الاتجاه، ففي ظل هذه الحرية الخطابية «صنفت البلاغة العربية المخاطبِين إلى ثلاثة أنواع: مخاطِب خالي الذهن، مخاطِب شاك ومتردد مخاطب جاحد ومنكر ، تتصاعد درجة تأكيد الخطاب حسب الملابسات التي يحددها المقام» [2]، نستطيع القول إنَّ تعدد أنواع المخاطبين وحرية إقناعهم، هي من أهم شروط الخطابات الحجاجية، فبناءًا على ما سبق قوله نحاول أن نكشف من هم المخاطبون في الأربعين النووية وما هو تصنيفهم حسب البلاغة العربية لكن قبل ذلك نتعرض لهم من ناحية التلقي ونوع الحضور في الخطاب.

نلاحظ في متن الأربعين النووية أنَّ المخاطبين ثلاث أنواع:

- مخاطب مسْتَمِع حاضر في العملية الخطابية.
- مخاطب مصرح به داخل الخطاب دون حضور فعلي.
- مخاطب متضمن داخل الخطاب دون حضور فعلي.

-مخاطب مستمع حاضر في العملية الخطابية:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أوصني قال: لا تغضب، فردد مرارا قال: لا تغضب» رواه البخاري[3]، نلاحظ في هذا الحديث أن طرفي العملية الخطابية حاضران حضورًا فعليًا، لكن يا ترى هل نص الخطاب متوقف فقط على المخاطب به في ذلك الزمان والمكان أم أنه يتعدَّى ذلك لكل المخاطبين الذين يشعرون بالغضب أثناء حياتهم اليومية؟، وعليه فنصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، هو أنَّ لا يغضبوا.

قال السعدي رحمه الله: «هذا الرجل ظن أنها وصية بأمر جزئي وهو يريد أن يوصيه الرسول صلى الله عليه وسلم بكلام كلي، ولهذا ردد، فلما أعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم عرف أن

---

[1]- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، ص 231.

[2]- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي، دراسة الخطابة العربية –الخطابة في القرن الأول أنموذجا، إفريقيا الشرق، ط2، ص35.

[3]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 21.

هذا الكلام جامع وهو كذلك» [1]، وعليه نستنتج أن تداول خطاب ما لا يرتبط بالمستمع فقط بل يتعداه إلى باقي المخاطبين الذين قد يكونون في مقامه في كل زمان ومكان.

-مخاطَب مصرَّح به داخل الخطاب:

نقصد بالمخاطب الذي صرح به داخل الخطاب، ذلك المذكور بلفظ دال عليه دون تضمين ومثال ذلك: **عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»** حديث حسن، رواه الترميذي وغيره هكذا [2]، فلفظ المرء دال على المخاطب الذي يقصده نص الخطاب دون حضور فعلي في العملية الخطابية نستنتج أن ذكر المخاطب داخل خطاب ما يساعد على عملية التوجيه دون عناء في البحث عن المخاطب المقصود.

-مخاطَب متضمن داخل الخطاب:

تعرضنا في العنصر السابق إلى المخاطَب المصرح به داخل الخطاب، أما هنا فعنصر المخاطَب متضمن يتوجه إليه المتكلم دون تعيينه لكن يفهم من السياق الداخلي أو الخارجي للنص، **فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»** رواه البخاري ومسلم [3]، هذا الحديث يبين أركان الإسلام الخمس، وهو موجه إلى كافة الناس دون تعيين فئتهم، وهذا ما يجعل من هذا الخطاب معمم دون الحاجة إلى ذكر مخاطب محدد.

---

[1]- محي الدين بن شرف النووي: شرح الأربعين النووية، مكتبة الإمام مالك، ط2، باب الواد، الجزائر، 1431هـ-2010م ص 199.

[2]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 17.

[3]- المصدر نفسه، ص 7.

4. أنواع المخاطَبين حسب التصنيف البلاغي:

أ) مخاطَب خالي الذهن:

يقتنع المخاطب خالي الذهن بسهولة مقارنة بالمخاطب الشاك والجاحد، لكن هذا لا يعني عدم اعتراضه في حال استعصى عليه فهم شيء ما داخل الخطاب، **فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟: الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم تلا:﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع ... ﴾ حتى بلغ: ﴿يعلمون﴾[السجدة: 16-17]، ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟». قلت: بلى يا رسول الله. قال: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟». قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه وقال: «كف عليك هذا». قلت: يا نبي الله وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟، فقال: «ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم –أو قال: على مناخرهم– إلا حصائد ألسنتهم»**. رواه الترميذي، وقال: حديث حسن صحيح.[1]

من خلال ملاحظتنا للحديث نجد أن معاذ بن جبل في بداية الخطاب –"قلت يا رسول الله أخبرني بعمل ... وذروة سنامه الجهاد"–، أي في بداية مرحلة التلقي كان متلقيًا متقبلا لما كان يلقى عليه من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، والسبب في ذلك أن معاذ كان السائل عن شيء يجهله، لكن في المرحلة الأخيرة من الحديث نلحظ أنَّ هناك شبه اعتراض أو استفسار من قبل معاذ، عندما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «كف عنك هذا» فقال معاذ «وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به!، فأجابه رسول الله أن الناس لا يكبون على مناخرهم إلا بسبب حصائد ألسنتهم، أي أنَّهم يحاسبون عما يقولون.

[1]– أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 38.

نستنتج من خلال هذا أن صفة المخاطَب خالي الذهن انطبقت على معاذ بن جبل في هذا الحديث، وهذا ما توضحه أيضا لفظة "بلى" التي كان يكررها معاذ كلما سأله رسول الله أن يخبره شيئا في الإسلام، وهي دالة على طلب المزيد من المعرفة.

ب) مخاطَب شاك ومتردد:

يمتاز المخاطَب الشاك والمتردد عن المخاطَب الخالي الذهن في كونه يحتاج إلى المزيد من الآليات الإقناعية التي قد تزيل بعض أو كل الشك والتردد، **فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أيضا، أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟، قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**» رواه مسلم[1].

اعتقدنا للوهلة الأولى أن قول السائلين: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قول يحمل معنى الشك والتردد، لكن وجدنا في كتاب شرح الأربعين النووية غير ذلك «ذكروا ذلك لتقدير قوله صلى الله عليه وسلم: وفي بضع أحدكم صدقة، وليس للشك في هذا لأنهم يعلمون أن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم حق، لكن أرادوا أن يقرر ذلك، فقالوا: يا رسول الله... أجر؟، ونظير ذلك قول زكريا عليه السلام في سورة آل عمران: ﴿ربِّ أنَّي يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقرٌ﴾(آل عمران:40)، أراد أن يقرر ذلك ويثبته مع أنه مصدق به»[2].

[1]– أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 32.

[2]–محي الدين بن شرف النووي: شرح الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة، ص 288.

بالرغم من أنَّ سؤال المخاطبين لا يحمل معنى الشك إلَّا أن رسول الله سدَّ مسد كل الاحتمالات، فأجابهم بطريقة مقنعة، على شكل المقارنة، قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟، والجواب: نعم، يكون عليه وزر في الحرام ويكون له أجر في الحلال"[1].

5. مراعاة مقتضى الحال:

تطرق الدكتور "**جميل عبد المجيد** " لفكرة "مقتضى الحال" في كتابه "البلاغة والاتصال" حيث عرض فيه أهم المراحل التي مرت بها الفكرة، فالمرحلة الأولى مرحلة النشأة والتأصيل كان مع "شربة المعتمر" حين مرَّ بإبراهيم بن جدبة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة ...، «والمعنى ليس شرف بأن تكون من معاني القامة، وإنَّما مدائر الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال» [2]، نستنتج من هذا الكلام أن مراعاة مقتضى الحال غايته إحراز المنفعة، وذلك إن وافق المقال المقام.

أما المرحلة الثانية مرحلة الضبط والتقعيد، فيعبر عنها قول **القزويني:** «وأما بلاغة الكلام فهي مطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة» [3]، ف**القزويني** ربط بلاغة الكلام بمسألتين مهمتين هما: مقتضى الحال والفصاحة.

المرحلة الثالثة التي قد تكون مزجًا بين ماضي الفكرة –مراعاة مقتضى الحال– في ثوبها البلاغي القديم وحاضرها التداولي الجديد، وفي هذا الشأن، يقول صلاح فضل الذي ربط مفهوم التداولية «العلم الذي يعني بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم ...»[4]، بفكرة (مقتضى الحال)، فيقول: «ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة

---

[1]– محي الدين بن شرف النووي: شرح الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة، ص 288.

[2]– جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، جامعة حلوان ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 21، عن الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2، ص 28.

[3]– المرجع نفسه، ص 23، عن ابن واهب البرهان، ص 19.

[4]– المرجع نفسه، ص 17، نقلًا عن عبد السلام بلعيد العالي: ثقافة الأذن وثقافة العين، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 1994، وانظر اونج: الشفاهية والكتابية، ص 148.

المساحة، التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة "مقتضى الحال"، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال"»[1].

نفهم مما سبق ذكره بأن التداولية علم يعنى بالعلاقة القائمة بين النص وعناصر الموقف التواصلي بأشكال عدة، وأما مراعاة مقتضى الحال فإنما توافق بين المقال والمقام، وهذا يدفعنا للتساؤل: ما هي العلاقة القائمة بين مراعاة مقتضى الحال والبعد الحجاجي أو الإقناعي في أي خطاب؟

6. البعد الحجاجي أو الإقناعي بمراعاة مقتضى الحال في الأربعين النووية:

لتوضيح أهمية مراعاة مقتضى الحال ومدى انعكاسه على عملية إقناع السامعين، نحلل ما يلي: «**عن عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيها، ألّا وإنَّ لكل ملكٍ حمى، ألَّا وإنَّ حمى الله محارمه، ألَّا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألَّا وهي القلب**» رواه البخاري ومسلم[2]، نلاحظ في هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار الصورة المناسبة لإقناع السامعين وتقريب المعنى لأذهانهم، عندما صور لهم الوقوع في الشبهات براع يرعى حول الحمى لينتقل بهم إلى وجه الشبه، وهو التجرؤ على الحدود باختلافها واختلاف العقاب فيها.

قال ابن دقيق رحمه الله: «هذا مثل ضربه الله لمحارم الله عز وجل، وأصله أنَّ العرب كانت تحمي مراعي مواشيها، وتخرج بالتوعد بالعقوبة لمن قربها، فالخائف من عقوبة السلطان يبعد ماشيته عن تلك الحمى ...، فالحذر أن يجعل بينه وبين تلك الحمى مسافة يأمن فيها وقوع ذلك،

[1]– جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص 17.

[2]– أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة، ص 11.

وهكذا محارم الله عز وجل ... لا ينبغي أن يحوم حولها مخافة الوقوع فيها» [1]، نستنتج أنه قد لا يمكننا الحديث عن إقناع المخاطبين إذا لم يتحقق شرط مراعاة مقتضى الحال.

فالرسول صلى الله عليه وسلم عرف أيضًا كيف يوظف مكونات البيئة العربية، وربط بعضها البعض، ليجعل السامعين له أو الموجه لهم الخطاب، يدركون خطورة الشبهات وذلك بعد أن بين لهم موضع وجودها، فوجودها بين حدي الحلال والحرام هو ما جعل منها أمرًا مستعصيًا، قد يغفل عنه الكثير من المسلمين، ويجهلونه، وبالتالي يقعون فيها دون شعور بذلك، وعليه فالرسول صلى الله عليه وسلم كان فقيها في تقديمه لهذه المسألة، حيث بدأ يبين الحلال والحرام، إذ قال فيهما: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن"، ثم بين أين تقع الشبهات ثم أتى بتشبيه لذلك جدٌّ دقيق، حتى يكون السامع أو المتلقي أمام صورة متكاملة مرتبة ومنظمة للفكرة النهائية التي ابتغاها الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وهي اتقاء الشبهات وهنا يظهر الإقناع ويتجلى، ليس في صورة واحدة مجزأة، بل يظهر في تكامل الحديث وحسن الربط بين أجزاءها.

[1]–محي الدين بن شرف النووي: شرح الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة، ص 109.

الفصل الثاني

آليات الحجاج المنطقية واللغوية

1. الحجج المؤسسة على بنية الواقع
2. الحجج المؤسسة لبنية الواقع
3. آليات الحجاج اللغوية
4. العوامل الحجاجية
5. عاملية الحجاج اللّغوية "إنَّما"
6. السلالم الحجاجية

تمهيد:

كل خطاب من الخطابات يعتمد في بناءه على مجموعة آليات سواء كانت لغوية أو تركيبية، أو مجموعة حجج تؤدي وظيفة تبليغ الرسالة للمتلقي واقتناعه بها.

1. الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

يتوصل المخاطب في غالب الأحيان إلى إقناع مخاطبه كلما انطلق من حجج مؤسسة لبنية الواقع، لأنَ المخاطبين كثيرا ما يقتنعون، أو بعبارة أخرى كثيرا ما يؤمنون بالحجج التي تستمد وجودها من الواقع، نظرًا لتمسكهم به، فهي «لا تعتمد على المنطق وإنَّما تتأسس على التجربة وعلى علاقات حاصرة بين الأشياء المكونة للعالم» [1]، لهذا السبب يترصدها أو يستعملها المخَاطب كآلية من الآليات الحجاجية الإقناعية الأكثر فعالية من غيرها، إذ يقتنع بها المخاطَبين وفي نفس الوقت يوضح لهم علاقة بعض الأشياء ببعضها، «فالحجاج هنا ما عدى افتراضًا وتضمينًا بل أصبح تفسيرًا للأحداث والوقائع، وتوضيحًا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشيائه» [2]، أي أنَّ المخاطب قبل أن يقنع شخصًا ما بفكرة أو قضية معينة يستعمل في خطابه مثل هذا النوع من الحجج، عليه أن يوضح للمتلقي العلاقة القائمة بين الأشياء المترابطة فيما بينها، خاصة إذا كانت ليست متداولة وسط مجتمعه، إذ يعد حسن ربط الأشياء ببعضها وتوضيحها لإنتاج علاقة ما تحمل طاقة اقناعية من أفضل الوسائل وأنفعها –حسب التوظيف الحجاجي– على مستوى أذهان المتلقين، ولنتصور أن شركة معينة أنتجت منتوجًا جديدًا فلكي تقنع المستهلكين باقتنائه، عليها أن تقوم بعملية توضيح علاقة المنتوج بالمجال الذي يستعمل فيه، عن طريق وسائل الإعلام والاتصال، بعدها تأتي عملية الاقتناع بالاقتناء في غاية السهولة والبساطة.

قسم بيرلمان الحجج المؤسسة على بنية الواقع إلى ثلاثة أنواع:

– التتابع: الحجة السببية والحجة البرغماتية.

---

[1]– سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 214.

[2]– المرجع نفسه، ص 214.

- الغائية: حجة التبذير، حجة الإيحاء وحجة التجاوز.
- التعايش: حجة السلطة، الماهية أو الذات وحجة الشخص وأعماله.[1]

نتوقف عند إحدى هذه الحجج داخل الأربعون النووية، وهي حجة الماهية أو الذات، وتتمثل في «تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به انطلاقا من الذات التي يعبر عنها أو يحللها ويوضحها»[2].

فعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» ، حديث حسن صحيح رويناه في غياب الحجة بإسناد صحيح[3]، نلاحظ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان – الحدث– انطلاقًا من بيانه للذات التي يتحقق فيها الإيمان الكامل، وهي التي هواها تبعًا لهواه صلى الله عليه وسلم، إذ ربط الصفة بالذات مشكلًا بذلك علاقة جديدة في العطاء الإسلامي والتي تسمى بحجة الماهية أو الذات.

وعن شرح الحديث، قال ابن عثيمين رحمه الله: «قوله لا يؤمن: أي لا يؤمن الإيمان الكامل وليس المراد به نفي الإيمان بالكلية، وقوله: حتى يكون هواه، أي ميله وإرادته، تبعًا لما جئت به أي بما جاء به من الشرع، فلا يلتفت إلى غيره»[4]، نستنتج أن ربط الصفة بالذات، الإيمان الكامل بمن هواه تعبا بما جاء به رسول الله علاقة وضحها رسول الله، مؤسسة على بنية الواقع الإسلامي وهي حجة تبين ضرورة المحافظة على ما جاء به رسول الله، حتى يتحقق في الذات المسلمة الإيمان الكامل.

---

[1]– ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 115.

[2]– المرجع نفسه، ص 228.

[3]– أبي زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 51.

[4]– محي الدين بن شرف النووي: شرح الأربعين النووية، ص 438.

2. الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

يكون التأسيس للواقع بنوعين من الحجج بواسطة الحالات الخاصة، والاستدلال بواسطة التمثيل، تقول سامية الدريدي: «هذه الحجج –المؤسسة لبنية الواقع– تربطها صلة وثيقة بالواقع، لكنها لا تتأسس عليه ولا تتبني على بنية، وإنَّما هي التي تؤسس هذا الواقع وتبينه، أو على الأقل تكمله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه أو تحصي ما لم يتوقع من هذه العلاقات، وما لم ينتظر من صلات بين عناصر ومكوناته» [1]، أي أنها تقوم بتشكيل وضع الواقع الذي يرتضيه الإنسان لنفسه، بما فيه من خير ومنفعة بعدة أساليب منها:

–الاستدلال بواسطة الحالات الخاصة:

تسهم عملية الاستدلال بما هو خاص في عملية تعليمية إلى العام، وبذلك قد يتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها حيث يصبح حالة عامة لا مجرد حالة خاصة، ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها»[2]، فإذا أردنا بيان بعض ما كان خاصًا وأصبح عامًا، نقرأ قوله صلى الله عليه وسلم، **عن أبي سعيد الخُدْرِي رضي الله تعالى عنه، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[3].

إنَّ هذه الوصايا النبوية وغيرها أسهمت في بناء الواقع الإسلامي، رغم أن العمل بها كان ضمن إطار ضيق في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن مع مرور الوقت وكثرة الاستدلال بها عمت في المجتمع وأصبحت لبنة من لبناته.

نستنتج أن هذا النوع من الحجج غايته بناء واقع عام، وليس هناك خطاب يلائم حياة الإنسان مثل الخطاب الديني.

---

[1]– سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 242.

[2]– المرجع نفسه، ص 243.

[3]– أبو زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 43.

3. آليات الحجاج اللغوية:

تعددت الحروف في اللّغة العربية، فمن الناحية النحوية نجدها مقسمة إلى حروف عاملة وأخرى غير عاملة، أما إذا تطرقنا إلى تقسيمها بحسب بعدها الحجاجي فنجدها مقسمة إلى عوامل وروابط حجاجية، كما يشير العزاوي في كتابه "اللّغة والحجاج"، متتبعًا الدراسات التداولية التي قام بها كل من "**ديكرو**" و"**انكسومبر**" التي تبحث عن البعد الحجاجي للغة والذي أصبح نظرية قائمة بذاتها.

نلاحظ من خلال هذا التقسيم للروابط والعوامل الحجاجية أثرًا هاما في العملية الحجاجية التي تأخذ أشكالًا عدة منها: الخطابات المدرجة داخل سياق معين مثل المحاورات والمناظرات أو أي خطاب عادي يمس حياة الفرد اليومية، أما الخطابات الأخرى فهي تكون في شكل نصوص مكتوبة، لكنها تشترك في عنصر هام وهو التوجه للمتلقي والمخاطب شكل عام.

بما أن كل الخطابات تشترك في التوجه إلى المتلقي سنحاول رصد البنية اللغوية وأثرها على المتلقي الذي قد يكون قارئا ضمنيا أو فعليا أثناء العملية الحجاجية التي تبدأ بالعمل أثناء وجود متلق ما. فنجاح العملية الحجاجية وعملية الإقناع يتوقف على عدة مستويات نظر لها الكثير من الدارسين أمثال أرسطو، طاليس... الخ، والكثير من الدراسات والمناهج التداولية الحديثة، من بينها مستوى الروابط من حروف وغيرها، وهذا ما يدفعنا للتساؤل: هل للعوامل والروابط التي هي في حقيقة الأمر حروف دورا لا يمكن الاستغناء عنها في نجاح عملية الإقناع أم أنها لا تعدو أن تكون حروف ربط بين الجمل في الخطابات المتعددة لتضمن تناسقها وانسجامها؟، سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة من خلال تحليلنا للخطاب الديني في الأربعين نووية.

4. العوامل الحجاجية:

يقصد بالعوامل الحجاجية مجموع الأدوات اللغوية التي تعبر عن حد معين من الشيء أو المعنى الذي تدخل عليه، فقولك: ليس لدي فرصة ثانية، يعني أنك حددت للذي تخاطبه أنَّه ليس لديك من فرص، فلا يحاول بذلك أن يحاول أن يزيد من أخبارك، هذا كقوله لك: ما زالت هناك

فرصة ثالثة، هكذا فالعوامل «لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون بقول وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، كاد، قليلا، كثيرا، ما... إلا، وجل أدوات القصر»[1]، فما يربط بين الخطيب والمتلقي وإفهام الأول للثاني وفهم الثاني للأول قد يتوقف على حسن الاستعمال لهذه العوامل، فيا ترى ما هو موقعها من الحديث النبوي الشريف؟ وما هي بعض الأبعاد الحجاجية أو الإقناعية التي تعمل على تحقيقها وتبيينها في الطرف الثاني –المخاطب أو المتلقي–؟.

5. عاملية الحجاج اللغوية "إنما":

وردت إنّما أو العامل إنَّما في متن الأربعين نووية أربع مرات، مرتين في موضع واحد من حديث «إنَّما الأعمال بالنيات وإنمَّا لكل إمرىء ما نوى»، والمرة الثالثة وردت في حديث «الطاعة سبيل النجاة فإنَّما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»، أما الموضع الأخير الذي وردت فيه فهو حديث تحريم الظلم «إنمَّا هي أعمالكم أحصيها لكم».

– الحديث الأول «إنما الأعمال بالنيات... »:

وردت "إنَّما" بعد الجملة الثانية في بداية الحديث، عن أمير المؤمنين أبي حفص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:« **إنَّما الأعمال بالنيات ، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هجر إليه** »، رواه إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، وأبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم العشيري النشابوري في صحيحهما اللّذين هما أصح الكتب الم صرفة، ومعنى بداية الحديث "إنَّما الأعمال بالنيات" واضح بمعنى أنه لا عمل دون نية والعكس غير صحيح ، عليه فإنما جاءت بخبر «لا يحمله المخاطب ولا يدفع حجته، أو بما ينزل هذه المنزلة تفسير ذلك أن تقول للرجل: "إنَّما هو أخوك وإنَّما هو صاحبك القديم" ، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه

[1]– أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 27.

ويقربه، إلَّا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب [1]، فلو أخذنا عبارة إنما الأعمال بالنيات، لكان المعنى واضحا وقريبا من نفس المتلقي وإدراكه، لكن قد تحمل أيضا معنى ثاني من ورودها، وهو تنبيه الرسول عليه الصلاة والسلام لنا من أخذ الحيطة والحذر من هذه النيات، أكثر منه من العمل، لأن العمل يقع بعد النية.

ونلاحظ أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما استعمل أداة إنما بدأ بالعام ثم خصص بدرجة أقل، ثم خصص أكثر وأكثر، حيث بدأ بالعام "إنما الأعمال بالنيات" ثم خصص المرء بالنية، وليس له إلا ما نوى، ثم فصل في باقي الحديث "من كانت تجارته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها وإلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" فهذا الانتقال في الحديث من الخبر الذي لا يجهله المخاطب حمله إلى المعنى الثاني، ثم التخصيص والتفصيل في باقي الحديث يجعل المخاطب يسير في اتجاه واحد في تلقي المعنى الذي ورد العامل "إنَّما" في بدايته، مبطلة ظن الخاطب لما قد يرد في ذهنه، أو يشوبه من شك أو ريب، مثلا : "بأن ليس للمرء ما نوى"، وهذا قد يكون خارجا عن المحتمل، لأنه قُيد بالمعنى الأول "إنما الأعمال بالنيات"، فكانت تتمة الحديث أيضا مقبولة ولا تُدفع، «ومعلوم أنك إذا قلت جاء زيد ولم تزد على ذلك أنه لا يسبق إلى القلب من المعنى إلا ما قدمنا شرحه، من أنك أردت النص على زيد، أنه الجائي وأن نبطل ظن المخاطب، إن المجيء لم يكن منه بل كان من عمر، حسب ما سيكون إذا قلت: جاءني زيد لا عمر»[2].

وورود العامل "إنما" في الحديث لم يكن له دور جزئي بسيط ، بل يبدو أنه حافظ على تسلسل المعنى ، وحسره في اتجاه واحد، فالمتلقي يكون أمام حد معين من المعاني التي لا يشوبها الظن، لدخول مثل هذه العوامل الحجاجية، و تأكيدها على المعنى، والحفاظ عليه بالقدر الذي يتطلبه فالعامل "إنما" يحمل المتلقي إلى نقل ما هو محتمل، إلى ما هو مثبت وقار.

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو عمر محمود محمد شاكر، مكتب الخانجي بالقاهرة، ط5. 2007، ص 330.

[2]– المرجع نفسه، ص 356.

6. السلالم الحجاجية :

تسهم السلالم الحجاجية في معرفة مدى قوة الطاقة الإقناعية لفئة معينة من الأقوال تنتمي بعضها إلى بعض " فهو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن يرمز لها كالآتي :

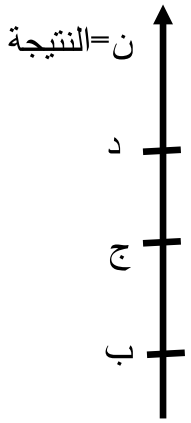

ب وج و**د** حجج تخدم النتيجة ن ، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي أن ذلك إلى نفس السلم الحجاجي [1]، فلا يمكننا أن نخطط لسلم حجاجي ما لم تتوفر مجموعة من الأقوال ، بشرط أن تكون منتمية لبعضها البعض لرابط ما يجمعهما، متسم‌تين بسمتين: –«كل قول يرد في درجة ما من السلم ، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة لـ ن» [2]، لأن الذي تحصل على شهادة الدكتوراه بطبيعة الحال تحصل على شهادة الماجستير، عليه فشهادة الدكتوراه أقوى من شهادة الماجستير لشخص له كفاءة علمية .

–«إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا استلزم أن "ج" أو "د" يعلوه درجة والعكس غير صحيح» [3]، وهذا توضيح لشرط التبعية في الحجة لأن "ج" و "د" متضمنان داخل النتيجة "ن".

حاولنا البحث والتقصي في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحجج التي تنتمي إلى فئة حجاجية معينة ، بالتالي وجدنا استعمالها بكثرة في حديث الإحسان ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضًا قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ لع علينا

[1]- أبو بكرالعزاوي ، اللغة والحجاج ، ص 20، 21.
[2]- المرجع نفسه، ص 21.
[3]- المرجع نفسه، ص 21.

رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حنى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدِّقه !، قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره". قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك" ..... » رواه مسلم[1].

نلاحظ من خلال الحديث الذي فيه جبريل عليه السلام والرسول صلى عليه وسلم يحسب أن العبارات المتضمنة فيه لا يمكننا أن نمثل لها بسلم حجاجي واحد فقط مع استفاء كل شروطه بل تتعدى والسبب في ذلك طبيعة الحوار ، ومحتواه الذي هو وحي من الله عز وجل ألقاه على جبريل عليه السلام ليبلغه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يعَلِمَ الدين لمن معه وللناس أجمعين. حيث أتى المحتوى على شكل خمسة أسئلة عامة يطرحها جبريل على رسول الله ليجيب عليها. أربعة منها تخضع لقوانين السلم الحجاجي في شكلها العام الذي يوافق تسلسل الأسئلة المطروحة؛ أي أن مجموع السلالم النهائي في حديث جبريل يسأل والرسول يجيب: ستة 6، نمثلها كالتالي:

[1]– أبو زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 5.

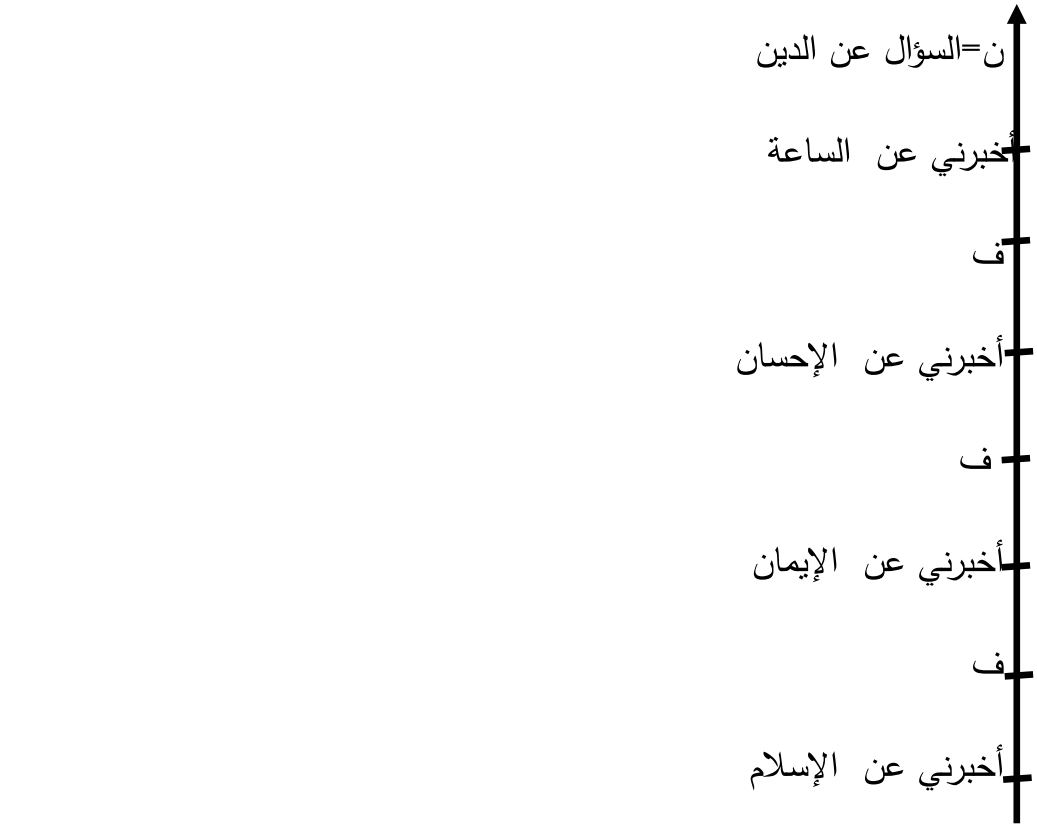

الشكل الأول

الشكل الثاني

الأقوال الواردة في السلم الحجاجي الأول عبارة عن أربعة أسئلة فكل سؤال ورد في درجة ما من السلم الذي يعلوه أكبر منه قوة بالنسبة للنتيجة ن هي السؤال عن الدين وفي السلم الثاني الإجابة عن مراتب الدين لكن وضعناها بشكل عام دون تفصيل في كل مرتبة منه كما ورد في الحوار .

ولكي نوضح أكثر كيف أن لهذه الأسئلة طاقة حجاجية تتحقق من خلال الترتيب التصاعدي من الحجة الأقل قوة إلى الحجة الأكثر قوة نقول أن جبريل عليه السلام لما طرح تلك الأسئلة بدأ بالإسلام ونحن نعلم أن الإسلام هو أول مراتب الدين إذا ما أراد الإنسان أن يعبد الله وتتحقق فيه المراتب التي تليه بالاجتهاد والسعي للوصول إليها وهي الإيمان الذي أعلى درجة وأعلى قوة من الإسلام ثم الإحسان الذي هو الآخر بدوره أعلى درجة من الإسلام والإيمان لأن فيه يصبح الإنسان على قدر عال من العبادة، أما الساعة وهي آخر ما سأل عنه جبريل رسول الله، ورد ت في أعلى مراتب السلم الحجاجي، لأنها أكثر قوة من باقي المراتب ، لكن قد يقول قائل كيف تكون الساعة في أعلى مراتب السلم. في حين أن المسلم قد يؤمن بقيامها لكن لم يصل إلى د رجة الإحسان وهذا يخل بترتيب الحجج في السلم الحجاجي، ذلك أنه حتى وإن لم يتحقق الترتيب في واقع المسلم وحياته ، فهذا عائد إلى اجتهاده في العبادة ، لكن ترتيبها الصحيح يبقى كما ورد في السلم الحجاجي المأخوذ من الحديث النبوي الشريف، الذي يعد وحيا من الله عز وجل .

نستنتج أن الحوار من بدايته إلى نهايته يحمل قوة حجاجية اقناعية، ساهمت فيها عدة عوامل منها ما هو موجود في السياق الداخلي للخطاب ومنها ما هو موجود في سياقه الخارجي.

- قوانين السلم الحجاجي:

أ) قانون النفي:

يعمل قانون النفي في الأقوال المنفية « إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي لا "أ") سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، وبعبارة أخرى ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة " لا ن"»[1]، يمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين:

[1]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 22.

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة**»[1].

- من لا ينفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا لا ينفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

- من لا ييسر على معسر لا ييسر الله عليه في الدنيا والآخرة.

السلم الأول:

ن: عون الله للعبد في عون العبد لأخيه

ب- نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

أ - من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا.

السلم الثاني:

لا ن: لا يكون الله في عون العبد ما لم يكن في عون أخيه.

ب - لا ينفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

أ - من لا ينفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا.

يدفعنا تقبلنا للأقوال في المثال الأول (أ وب) إلى تقبلهما في المثال الثاني بصيغة النفي فالحجة "أ" في السلم الأول تخدم النتيجة "ن"، كما أنها بصيغة النفي تخدم الحجة "لا ن".

ب) قانون القلب:

يعمل السلم الحجاجي بقانون القلب في اتجاه معاكس للسلم الحجاجي في شكله العادي - الأقوال الإنشائية-، وبعبارة أخرى «إذا كان (أَ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة "ن"، فإنَّ (ن أَ)

[1]- أبو زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 45.

أقوى من (ن أ) بالقياس إلى (لا ن)»[1]، ويمكن أن نرمز لهذا باستخدام السلم الحجاجي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيها عند الناس يحبك الناس».

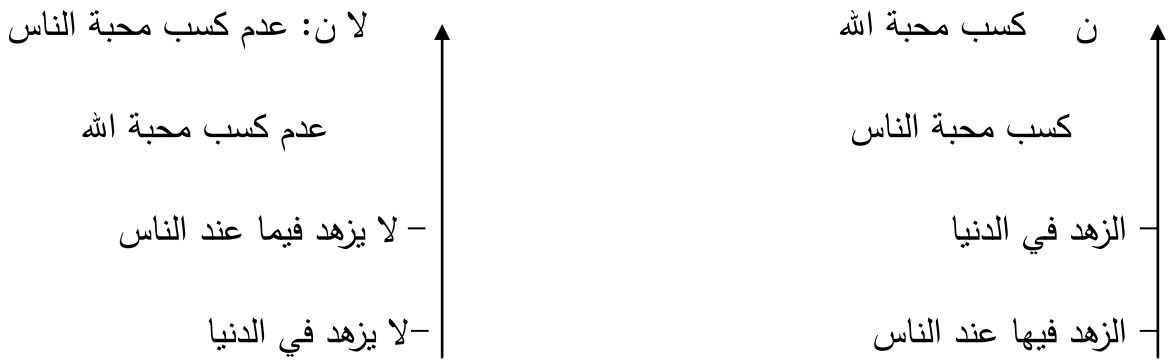

المسلم الذي يزهد في الدنيا يحبه الله، وزهده فيما عند الناس، سبب في محبتهم له، فزهد المسلم في الدنيا أقوى دليل من إمكانية زهده لما عند الناس، في حين أن عدم زهده فيما عند الناس هو الحجة الأقوى على عدم مقدرته على الزهد في الدنيا.

[1]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 22.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة التي تناولنا فيها كتابا من كتب الحديث النبوي، المتمثل في "الأربعين النووية"، توصلنا إلى عدة نتائج أهمها:

- ✓ مراعاة الرسول عليه الصلاة والسلام في أحاديثه تتابعية التلقي ، مما سمح للحديث بأن يكون ذا ميزة استمرارية، يتقبله المتلقي في أي زمان.
- ✓ بروز أهمية السياق في كونه عاملا مساعدا في عملية الفهم لمختلف الأحاديث.
- ✓ ملائمة استعمال العوامل والسلالم الحجاجية ومراعاة مقتضى الحال لتراتبية الحجج وتصاعدها.
- ✓ تنوع المخاطبين في الحديث النبوي، ساهم في إعطاءه حرية أكبر ومجال أوسع للتداول.
- ✓ استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لعدة آليات اقناعية، تلاءم نص الخطاب أولًا وبالتالي ملاءمتها لمستوى المخاطبين (المتلقين) ثانيا.
- ✓ لم تكن الصور البيانية الواردة في الأحاديث ذات وظيفة جمالية فنية فقط، بل كانت صورًا من صور الإقناع التي تتوجه إلى العقل والقلب معًا.
- ✓ علَّم الرسول صلى الله عليه وسلم أمر دينهم بالتدرج، فكان يلقي خطابه حسب الموقف الذي أمامه، وعليه تعددت وتنوعت السياقات والمواقف، ما ساهم في تعدد الخطابات وليس العكس.

في الختام لا يسعنا إلّا أن نقول بأن بحثنا هذا ما هو إلا محاولة منا لتناول الخطاب النبوي من وجهة بلاغية خطابية ، فرغم كل ما قدمته البلاغة العربية القديمة في كل مراحلها من خدمة الخطاب الديني إلى أن معين هذا البحر لا ينضب، ومازال يحتاج إلى دراسة بعض جوانبه خاصة التداولية، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ومازال أفصح العرب وأحكم الناس موقفًا، عليه كان علينا دراسة خطاباته فصاحة وبلاغة وتداوليًا، لكي نرى انسجامًا وإحكاما بينهما قلَّ بل نّدُر أن نجدها في خطابات أخرى.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

- أبو زكريا يحي بن شرف النووي: الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار الإمام مالك للكتاب، ط1 1426هـ- 2006م.

المراجع:

المعاجم:

- انعام نوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1996م.

الكتب:

- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، منتديات سور الازبكية، الطابع العمدة في الطبع، ط 1 1426هـ- 2006 م.
- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج1، ط1، بيروت، لبنان 1429هـ- 2008م.
- أرسطو طاليس: كتاب الخطابة، تر: عبد الرحمن ب.دوي، دار العلم بيروت، دط، 1979.
- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، جامعة حلوان ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 21، عن الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2.
- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، إربد عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2011.
- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، ط9، القاهرة.
- صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، الإصدار 1، 2008.
- صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2، جامعة مصر العربية، سنة 1431هـ- 2010م.

- عبد الرحمن: اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.
- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دط.
- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو عمر محمود محمد شاكر مكتب الخانجي بالقاهرة، ط5. 2007.
- فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس، كلية الآداب منوبة، إشراف: حمادي حمود.
- فيليب بروتون وجيل يوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ط 1، تر: محمد صالح ناجي الغامدي قسم اللّغات الأوربية وآدابها –كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز مركز النشر العلمي– جامعة الملك عبد العزيز، 1432هـ، 2011م.
- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، دط، المغرب، 1999 ص 156، عن فصح النبوة، رسائل الجاحظ 279/1.
- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي، دراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول أنموذجا، إفريقيا الشرق، ط2.
- محي الدين بن شرف النووي: شرح الأربعين النووية، مكتبة الإمام مالك، ط 2، باب الواد الجزائر، 1431هـ–2010م.

مواقع الكترونية:

- جميل حمداوي: نظريات الحجاج، شبكة الألوكا، www.olukah.net.

- الطاهر ناعوس بن يحي: البلاغة وتحليل الخطاب دراسة في تغيير النسق المعرفي مقالات متعلقة، تاريخ الإضافة: 17–12–2011م، www .alika.net.

- مصطفى الغرافي: عن البلاغة "دراسة في تحولات المفهوم"، مجلة: ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 28 أفريل 2014، WWW .diwanalarab.com.

فهرست

مقدمة 2

مدخل: البلاغة القديمة والجديدة

1. نشأة البلاغة القديمة وتطورها 5
2. مفهوم البلاغة القديمة 7
3. نشأة البلاغة الجديدة ونظرية الحجاج 8

أ) تعريف البلاغة الجديدة 8

ب) الحجاج عند برلمان 10

ت) الحجاج عند ديكرو وانكسمبر 13

الفصل الأول: سياقات الأحاديث في الأربعين النووية

1. السياق الخطابي 16
2. المتكلم أو المخاطِب 16
3. المتلقي أو المخاطَب 20
4. أنواع المخاطبين حسب التصنيف البلاغي 23
5. مراعاة مقتضى الحال 25
6. البعد الحجاجي والإقناعي لمراعاة مقتضى الحال 26

الفصل الثالث: آليات الحجاج المنطقية واللغوية

1. الحجج المؤسسة على بنية الواقع 29
2. الحجج المؤسسة لبنية الواقع 31
3. آليات الحجاج اللغوية 32
4. العوامل الحجاجية 32
5. عاملية الحجاج اللغوية "إنَّما" 33
6. السلالم الحجاجية 36

خاتمة 42

قائمة المصادر والمراجع 44

فهرست 47